International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

تجليات التشظي في الرواية العربية الحديثة

محمد طاهر نسيم -الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بجامعة التربية والتعليم كابول

تاريخ استلام البحث: 2025/07/20 **تاريخ نشر البحث: 2025/08/31** **المجلد: 7** **العدد: 1**

الملخص:
تتأتى أهمية هذه المقالة من كونها تتناول مظاهر التشظي في الرواية العربية الحديثة، فالرواية العربية استطاعت خلال قرن من الزمن تطوير عناصرها السردية، واستطاع الروائيون العرب الانتقال بالرواية العربية إلى مرحلة التجريب وذلك بناء على قراءاتهم للرواية العالمية والاستفادة منها بما يتناسب مع ظروف الإنسان العربي وواقعه، والتشظي أحد أهم مظاهر رواية ما بعد الحداثة، ويتجلى التشظي من خلال بنية سردية غير منظمة ولا متسلسلة وإنما هي عبارة عن شتات سردي وفتات لغوي، وأحيانا تكون الرواية عبارة عن فصول قصيرة مفككة، ويقع على عاتق القارئ إعادة ترتيب هذه العناصر ذهنيا حتى يتسنى له فهمها، وقد تناولت هذه المقالة مظاهر التشظي في الرواية العربية من تشظي الشخصية والحبكة والزمن وخلصت إلى أن الرواية العربية قد نجحت إلى حد كبير في خوض غمار التجريب الروائي، وأن التشظي في الرواية العربية جاءت متناسقا مع الظروف العربية وما تعرض له الإنسان العربي من وقائع أثرت عليه وعلى الأدب عموما والرواية خصوصا. ومن هنا استفاد الكاتب في إعداد المقال عن المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: التربية الذوق اللفظي، التربية الفكرية، التربية الأخلاقية للغة..

Manifestations of Fragmentation/Disconectivity in the Contermporary Arabic Novels

Mohammad Tahir Nasim

Arabic Langauge and Literature Department, Education Faculty, Kabul University of Education, Afghaniatan

Corresponding Author: Mohammad Tahir Nasim, **E-mail**: sabkhaf@gmai.com

RECIEVED: 20 July 2025 **PUBLISHED:** 31 August 2025 **DOI:** 10.32996/ijalls.2025.7.1.15

Abstract
The importance of this article stems from its discussion of the manifestations of fragmentation in the modern Arabic novels. Over the course of a century, the Arabic novel has been able to develop its narrative elements. The Arab novelists have been able to move the Arabic novel to a stage of experimentation based on their readings of the global novels and benefit in such a way that is consistent with the circumstances and reality of the Arabs. Fragmentation is one of the most important manifestations of the postmodern novel. The author has used descriptive and analytical method to analyzed the data. Moreover, Fragmentation or didconectivity is manifested through an unorganized and non-sequential narrative structure, but rather consists narrative as well as linguistic fragments. Sometimes the novel consists of short, disjointed chapters, and it falls upon the reader to mentally rearrange these elements in order to understand them. This article discusses the manifestations of disconnectivity in Arabic novel, including the of character, plot or serious of events, and setting. The findings revealed that the Arabic novels have been largely successful in venturing into narrative experimentation, and that fragmentation in the novels are consistent with Arab circumstances and the events that the Arabs have been exposed to. This has impacted, literature in general, and the novel in particular.

Keywords: Novel, modernity, fragmentation, disjointed novel

1. المقدمة

بدأ فن الرواية متأخرا نسبيا في العالم العربي، ولكنه مع ذلك استطاع القفز بقفزات طويلة في رحلة تطور الرواية العربية، حيث بدأت الرواية بشكل أشبه بالحكايات الشعبية وقصص الأطفال والحكايات الخيالية، ومن ثم اتجه نحو الرواية الأكثر نضجا إلى أن وصلنا للرواية التجريبية، وقد اطلع الروائيون العرب على النتاج الروائي العالمي وتأثروا به، وإضافة للتراث النثري والشعري العربي العريق الذي حمله الروائيون وأثر في كتاباتهم، فقد أثرت التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها المنطقة في نتاجهم الأدبي، ومن أهم مظاهر التطور في رحلة الرواية العربية محاولة الروائيين تطوير البنية الروائية والتجريب ومنها الخروج على الشكل التقليدي للرواية، وقد ظهر لدينا شكل روائي مغاير للرواية التقليدية بنيويا وهو الشكل المفكك أو المشظى، وذلك يعود لعدة عوامل منها التأثر بالرواية الغربية، وانعكاس الواقع الجديد المشظى على الرواية العربية، وتتجلى مظاهر التشظي في الرواية العربية في الحبكة والزمان والمكان وبنية الشخصية وخصوصية اللغة في **هذا** الشكل الروائي، وستتناول هذه المقالة مظاهر التشظي في الرواية العربية من خلال المنهج الوصفي التحليلي، وتم تقسيم هذه المقالة إلى ثلاثة أقسام وهي الشخصية والحبكة والزمن وحللت هذه العناصر بدءا من الرواية العربية التقليدية وصولا للرواية الحديثة وتشظي هذه العناصر في الرواية مع أمثلة تطبيقية لروايات عربية لكل منها.

2. مشكلة البحث

يقوم المقال بمقارنة بين الرواية التقليدية، التي تتميز بشخصيات واضحة وحبكة متماسكة وزمن متسلسل، والرواية الحديثة التي تظهر فيها هذه العناصر بشكل مختلف تمامًا.

الشخصية: تتحول من شخصية مكتملة المعالم إلى شخصية مفككة، مهمشة، ومريضة، قد تحمل حرفًا أو رقمًا بدلاً من اسم.

الحبكة: تتغير من بنية منطقية ومتسلسلة إلى بنية مشتتة ومبعثرة، تفتقر إلى التسلسل الزمني الثابت.

الزمن: يصبح متقطعًا وغير خطي، مما يتطلب من القارئ إعادة ترتيب الأحداث ذهنياً لفهمها .ويشير المقال إلى أن هذا التحول ليس مجرد تقنية فنية، بل هو انعكاس للهزائم السياسية والاجتماعية التي مر بها الإنسان العربي، خاصة بعد هزيمة 1967، مما أدى إلى شعور بالضياع والتهميش انعكس على بنية الرواية.

3.أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونها تمثل تجربة سردية حديثة في سيرورة الرواية العربية، وهي تقوم على تفكيك البنية الروائية التقليدية للرواية وتوجد شكلا مغايرا ومتضادا مع الشكل التقليدي في محاولة للروائي العربي لكسر المألوف وإيجاد فضاءات سردية جديدة فهي مغامرة تجريبية أولا، وهي انعكاس للواقع الجديد الذي تبدو فيه كل الأشياء مختلفة ومغايرة للمعتاد، من خلال بنية روائية مفككة على مستوى الحبكة والزمان والمكان والشخصية، وهذا الموضوع مهم للمتخصصين في الأدب العربي لا سيما المتخصصين في الرواية العربية الحديثة.

4.أهداف المقالة

1.التعريف بالرواية العربية ذات البنية المشظاة التي تمثل تجربة جديدة مهمة في الرواية العربية

2.التعريف بتجليات التشظي في الرواية العربية الحديثة

3.التعريف ببعض من أهم النماذج الروائية العربية التي تجلت فيها مظاهر التشظي.

أسئلة البحث

استنادًا إلى مشكلة البحث التي تم تلخيصها، يمكن صياغة الأسئلة التالية:

1- ما هي خصائص "الشخصية الروائية المتشظية" في الرواية العربية الحديثة، وما هي العوامل التي أدت إلى ظهورها؟
2- كيف تختلف "الحبكة الروائية المتشظية" عن الحبكة التقليدية، وما هي الأسباب الفكرية والفنية لهذا التحول؟
3- كيف يتم توظيف "الزمن المتشظي" في الرواية العربية الحديثة، وما علاقته بالحالة النفسية والاجتماعية للإنسان العربي بعد الهزائم؟
4- كيف تعكس روايتا "المخدوعون" و"سيدات القمر" مظاهر التشظي في الشخصية، والحبكة، والزمن؟
5- ما هو دور القارئ في فهم وتأويل الرواية ذات البنية المتشظية، وكيف تغير هذا الدور مقارنة بالرواية التقليدية؟

5.منهج البحث

1.في البداية استفدت من آليات المنهج الوصفي وذلك لوصف وتحليل مظاهر التشظي التي ظهرت في الروايات العربية الواردة في المقالة.

2.ومن ثم ومن خلال المنهج التحليلي قمت بتحليل هذه المظاهر وفق سياق السرد الذي جاءت فيه وتحليل الخطاب الذي تحمله الرواية.

6.خلفية الموضوع

إن موضوع التشظي وبنية الرواية المشظاة ليس بجديد على الباحثين العرب في مجال الرواية العربية الحديثة، ولكن معظم الكتب والدراسات التي تناولت هذا الشكل الروائي كانت تنصب على روايات بعينها وتتناولها بالتحليل، فهي تتناول الرواية المحددة ككل واحد وتحلل ما جاء فيها من تقنيات، أما هذه المقالة فهي تنطلق من المظهر السردي للتشظي نظريا ثم تحلله وتطبقه على الروايات التي يظهر فيها كل مظهر بصورة أوضح وعلى حدة، ومن الكتب التي تناولت التشظي في الرواية العربية كتاب "التشظي وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية" لنجاة صادق الجشعمي وكتاب "أنماط الرواية العربية الحديثة" لشكري الماضي، وكتاب "الحساسية الجديدة" لإدوار الخراط.

أولا: الشخصية الروائية

الشخصية الروائية هي ركن مهم من أركان الرواية بل يمكن القول إنها الركن الأهم، إذ إن الشخصية الروائية هي التي تجعل للنص الأدبي روحا وهي التي تنقل الرواية من كونها مجرد متن أدبي إلى عالم متكامل يعج بالحركة والنمو والتطور، والشخصية الروائية هي التي تحمل أفكار ورؤى المؤلف وهي المسؤولة عن إثارة وتشويق المتلقي، ولذلك فإن الروائيين يصبون معظم جهدهم على بناء شخصية روائية مقنعة ومحببة وذات شعبية لدى المتلقي، وينقلون عبرها كل ما في أذهانهم من فكر وفلسفة وإيمان وأمل وألم.

وقد عرفت الشخصية الروائية بأنها "كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف، والشخصية عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها" (الزيتوني، ، 2002).

وفي الرواية التقليدية صب الروائيون الاهتمام على تفاصيل الشخصية الروائية ورسموها بدقة متناهية، فذكروا اسمها وصفاتها الجسدية وبنوها بناء منطقيا ورصدوا أحوالها النفسية وما يطرأ عليها من تغيرات وكانت الشخصية تتحرك وتنمو وفق سيرورة منطقية وتطرأ عليها التغيرات وفق الظروف الخارجية التي تتعرض لها. وكانت الشخصيات تنزع إما إلى الخير أو الشر وأحيانا تختلط فيها نوازع الخير والشر لإضفاء صورة أكثر واقعية.

أما في الرواية المشظاة فقد ظهرت الشخصية الروائية مفككة غير واضحة المعالم، حتى أنها أحيانا لا تحمل اسما محددا بل يطلق عليها الروائي رقما أو حرفا، وهي شخصية تعاني من مشكلات مختلفة فهي إما مريضة أو معاقة أو تعاني من الأمراض النفسية، وغالبا هي شخصية لديها مشكلات أخلاقية وتمارس الرذائل بأنواعها وهي خارجة على المجتمع وعلى القانون والأعراف، كل هذا نتيجة تعرضها للظلم الاجتماعي أو السياسي، أو تعبيرا عن رفضها للتقاليد السائدة وخروجها على السرب.

لذا فإن الشخصية المفككة تعد من أهم معالم التشظي في الرواية العالمية والعربية، والرواية العربية في ذلك قد تأثرت بالرواية الغربية التي بدأت هذا الشكل الروائي، ومن أهم من حطم الصورة النمطية للشخصية الروائية الروائي كافكا الذي جعل الشخصية الروائية تتحول إلى حشرة أحيانا كما في رواية (المسخ) وأحيانا جردها من اسمها وأطلق عليها حرفا واحدا كما في رواية (المحاكمة).

وهذا التغيير في بنية الشخصية الروائية هو ردة فعل حادة على الدور الأكبر الذي لعبته الشخصية في الرواية التقليدية حيث "كثيرا ما كانت الشخصيات تطغى في العمل الروائي، فلا تترك مجالا للمشكلات السردية الأخرى، فكان لا شيء في الرواية غير الشخصية، وغطرستها، واختيالها وغلوائها، وأكثر من ذلك أن الروائيين كانوا يشقون على أنفسهم ويعنتونها أشق الإعنات حتى يستوي لهم وضع (حالة مدنية) لشخصياتهم فإذا هي لها نسب معروف، وشجرة انتماء" (مرتاض ، 1998).

لذلك فإن الرواية الجديدة ولا سيما الرواية ذات بنية التشظي خالفت تماما هذا العرف الروائي وخرج الروائيون على هذا التقليد الأساسي في الرواية التقليدية فجنحوا إلى "الحد من غلوائها والإضعاف من سلطانها، في الأعمال الروائية فلم تعد إلا مجرد كائن ورقي بسيط وذلك انطلاقا من نهاية الحرب العالمية الثانية" (مرتاض، 1998). أما هذا التغيير في بنية الشخصية فيعود لعوامل مختلفة منها خيبة أمل الإنسان في العصر الحديث وما آل إليه العالم من خراب وتشييء للإنسان وانتقاص من قيمته المعنوية، فقد أصبحت قيمة الإنسان في قيمة ما يملك ماديا فقط أما الأخلاق والقيم المعنوية فلا قيمة لها في عالم اليوم، إضافة لذلك فإن الإنسان في العصر الحديث قد فقد بوصلته الحقيقية وأصبح هائما على وجهه لا يعرف ما يريد ولا ما الذي يسعى من أجله، وأصبحت كل الأشياء ضبابية، ولا وجود لليقينيات بل مجرد شكوك تحيط به من كل جانب. أما بالنسبة للرواية العربية فالعربي تعرض لتغييرات عميقة وهزائم متتالية لاسيما الهزيمة الكبرى في حزيران 1967، وبعدها انهارت أحلام الإنسان العربي لاسيما حلم الوحدة العربية، فانعكست هذه الهزيمة وما تلاها من هزائم على الرواية العربية وأثر في بنيتها على مستوى اللغة والحبكة والزمان والمكان وكذلك الشخصية، لذلك ظهرت الشخصية الروائية في الرواية العربية جديدة مفككة مأزومة ممزقة منفصلة عن واقعها، وذلك بسبب ما تعرضت له من ظلم وتهميش وتشييء، لذلك ظهرت الشخصيات في الرواية وكأنها مجرد أطياف أو أجزاء مبعثرة أو بلا اسم ولا وصف ولا تحديد.

وقد وجدنا روايات كانت شخصيتها الرئيسية مريضة نفسيا تعاني من الاكتئاب أو الانفصام أو الرهاب أو غيرها من الأمراض النفسية وبناء على ذلك جاءت بنية الرواية بأكملها مفتتة مجزأة تتناسب مع تفكير الشخصية المريضة وتصرفاتها وأفعالها.

وعلى عكس الشخصية البطلة في الروايات التقليدية التي تتصف بصفات الكمال الجسمي والمعنوي، فقد جاءت شخصيات الرواية المشظاة ضعيفة ومهمشة ومريضة ومضطهدة وقلقة، وهي شخصيات غير مستقرة لا نفسيا ولا فكريا وأفعالها غير منطقية وتعيش منفصمة عن مجتمعها في عوالم داخلية من الخيال والذكريات، وبالتالي فإن بنية الرواية بشكل عام يتمزق فيها الزمان والمكان ولا تتطور بصورة منطقية طبيعية وكل هذه تعد من أهم مظاهر التشظي في الرواية العربية الحديثة.

ومن أبرز الروايات العربية التي ظهرت فيها الشخصيات المشظاة رواية (المخدوعون) للروائي المغربي أحمد المديني (المديني ، 2012) ، وهي رواية تتناول حياة مجموعة من الشخصيات العربية التي هاجرت إلى فرنسا لأسباب مختلفة منها الاضطهاد السياسي ومنها الرغبة في التحرر من القيود الاجتماعية ومنها هربا من الحروب الأهلية أوالجهل أوالفقر أوالمشاكل المختلفة في بلدانهم الأصلية، لذا فالشخصيات في هذه الرواية عانوا من مشاكل اجتماعية وسياسية أثرت على شخصياتهم فهم في حالة من الشتات الذهني ويتحركون وكأنهم في متاهة، يعانون من مشكلات نفسية وعقلية، منفصلون عن واقعهم غارقون في أحلامهم وذكرياتهم وآمالهم، والرواية ترصد هذه الأحوال المشتتة من خلال انتقال السرد بين الأزمنة والأماكن المختلفة، فبنية الرواية بكليتها مشتتة وهي خير تمثيل للتشظي في الرواية العربية الحديثة. إحدى الشخصيات في الرواية هي السيدة (هاء) وهي سيدة لبنانية هاجرت إلى باريس هربا من الحرب الأهلية اللبنانية، وهي طالبة جامعية في باريس وهدفها من الهجرة هي الحرية والأمان، ولكن إذا تمعنّا في طبيعية هذه الشخصية سنجدها شخصية مشتتة الذهن غامضة غير واقعية، تعاني من مشكلات نفسية عديدة وتتحدث مع نفسها، لذلك فهي أفضل مثال على الشخصية المشظاة في الرواية العربية ذات البنية المتشظية، بدءا من اسمها السيدة (هاء) وهو ما يميز الشخصيات المشظاة من إطلاق حروف أو أرقام على شخصياتها، ومن جانب آخر فهي تغوص في عالم من الذكريات والأحلام وتتنقل في ذهنها بين بيروت وباريس ويتداخل لديها الحاضر مع الماضي، وأكثر ما أثر في شخصيتها هو ما تعرض له أخوها على يد الجماعات المسلحة من تعذيب واضطهاد حتى أصبح هو الآخر مريضا نفسيا، وفي الرواية تسوء حالة السيدة هاء حتى أنها تلجأ للطبيب النفسي الذي ينصحها قائلا :"إذا تماديتِ في السؤال، تسألين عنكِ أنت بأنت، فقد تنزلقين نحو العصاب، ومنه إلى ما لا يحمد عقباه.." (المديني، 2012).

وينسحب هذا التشتت النفسي على جميع شخصيات الرواية منها شخصية غانم وهو مغربي تعرض للظلم والسجن في بلده ثم هاجر إلى باريس وكان يدرس في مرحلة الدكتوراه وكان هذا الظلم والاضطهاد الذي تعرض له في بلده قد أثر على شخصيته فأصبح أشبه بالمجنون، وشخصية عبد الرحيم المزابي ويوسف الذهبي وغيرها وكلهم يعانون من الغرق في الخيال والوهم ويقضون وقتهم في التسكع في شوارع باريس أو في المقاهي والجدل بلا فائدة، ولعل الخوف والماضي القاسي هو السبب في كل هذا وما زاد الطين بلة أنهم كانوا يحلمون بالحرية والعدالة في المنفى فإذا بها حرية موهومة فالخوف قد تمكن منهم تماما وقضى على أحلامهم.

7. ثانيا: الحبكة

من أهم المصطلحات الروائية هي ما يطلق عليها الحبكة الروائية، والحبكة هي ما يجعل مجموعة من الأحداث والشخصيات والأزمنة والأمكنة رواية مشوقة، فهي خيط غير مرئي يربط بين عناصر الرواية وهي ما تشد القارئ وتجعل من الرواية نصا مشوقا، وقد جاء تعريف الحبكة في معجم مصطلحات نقد الرواية كالتالي : "الحبكة في الرواية هي بنية النص، أي النظام الذي يجعل من الرواية بناء متكاملا. فتسلسل الأحداث البسيط لا يصنع رواية بل يصنعها ترتيب الوقائع واستخلاص النتائج فالحبكة حركة حيوية تحول مجموعة من الظروف بل من تقدمها وتراجعها وتطورها وتحولها من حال إلى حال جديدة" (الزيتوني، 2002).

والحبكة تظهر براعة الروائي الذي يختلف عن الأشخاص الآخرين بأنه يمكنه صنع رواية مشوقة من مجموعة من الأحداث العادية، ولكن هذه الأحداث ترتبط معا بصورة غير عادية وتتكاثف وتنمو وتتطور عبر صفحات الرواية لتشكل لنا رواية مشوقة. وغالبا ما تكون هذه الحبكة مبنية على

فكرة الصراع، الصراع بين الخير والشر وهو الصراع التقليدي في كل الملاحم الكبرى عبر التاريخ، وقد تشمل الصراع الإنسان مع القوى الخارجية، أو حتى صراع الإنسان مع نفسه بما فيها من خوف ورهبة. وقد قسم بعض النقاد الحبكة إلى عدة أنواع هي "حبكة الحدث (القائمة على تغيير في حال الشخصية) وحبكة الشخصية (القائمة على تغيير في معنوياتها) وحبكة الفكرة (القائمة على تغيير في أفكارها ومشاعرها) " (الزيتوني، 2002).

ويقصد من ذلك أن تطور الرواية إما أن يكون تغييرا في حال الشخصية فقد يكون فقيرا ويصبح غنيا والتغير في المعنويات كأن يكون حزينا ويصبح سعيدا ، والتغير في الأفكار قد يكون التحول من معتقد أو مذهب إلى آخر أو غيرها. ولا يعني ذلك أن الحبكة محصورة في هذا التصنيفات بل هي أكثر من أن تحصى ولكنها بشكل عام تدور حول هذه التصنيفات الثلاثة.

والرواية العربية وخلال رحلتها تطورت من مرحلة الحبكة المحكمة البناء التي ظهرت في الرواية التقليدية، التي كان السرد فيها منظما مرتبا يتطور إلى الأمام بصورة متتالية دون قطع أو تشتيت والأحداث مترابطة منطقية البناء، والشخصيات إما خيّرة أو شريرة، ثم بدأت الرواية العربية بالتمرد على هذا البناء الرصين، وظهر لدينا أشكال مختلفة من البناء غير المتسلسل، فظهرت روايات متقطعة البناء أو مشتتة أو ذات بنيتين متوازيتين أو عدة بنى مشتتة.

وتعود عوامل ظهور هذا الشكل الروائي للاطلاع على النتاج الروائي العالمي الجديد الذي خاض غمار التجريب، ولا سيما منتجات ما بعد الحداثة السردية، إضافة للصدوع الهائلة التي تعرض لها الإنسان العربي، والتهميش الذي يعيشه اليوم بين الأمم بسبب تخلفه علميا واقتصاديا وتنمويا، فالإنسان العربي يعيش اليوم حالة من التشتت والضياع بين ماض عريق وحاضر وضيع، يبحث له عن موطئ قدم في هذا العالم، حائر مضطرب فكريا وعقليا، في حالة من اللايقين، والتشتت الفكري والعقلي وأحيانا الديني، كل هذا أثر على بنية الرواية العربية الجديدة.

ومن أهم عوامل هذا التكسير في بنية السرد الروائي فلسفة الحداثة وما بعدها التي حطمت كل الأصنام وكسرت كل القواعد وخرجت على كل الثوابت، ففي فكر ما بعد الحداثة لا يوجد مقدس ولا أهمية للقواعد ولا المتعارف عليه، بل هي فلسفة متضادة مع كل شيء، ليس لها مركز ولا ثابت بل تدور حول نفسها في دوائر متعددة وتتحول من صورة لأخرى، من هنا ظهرت لدينا الحبكة المشتتة البناء، التي ليس لها مركز بل هي مجموعة متعددة من البنى المشتتة والحبكة فيها ليست منطقية ولا تتطور بصورة منطقية، والرواية تبدأ من أي زمن ويتحول السرد فيها من زمن لآخر دون قيد والمكان متعدد ومتغير.

وهذه البنية الروائية فرضت على القارئ إعادة ترتيبها ذهنيا وملء فراغاتها وأحيانا قد يحتاج لإعادة قراءتها حتى يتسنى له فهمها، وهذه هي السمة العامة لرواية ما بعد الحداثة.

ومن الروايات المهمة التي تجلت فيها بنية السرد المشظاة رواية (سيدات القمر) للروائية العُمانية جوخة الحارثي (الحارثي، 2010) وفي هذه الرواية تحكي الروائية حكاية مجموعة من النساء العمانيات وما عانته من مشاكل اجتماعية خلال فترة الاستعمار كالفقر والجهل والطبقية المجتمعية إضافة لقضية العبيد التي كانت منتشرة آنذاك، وما تعرضت له من ظلم عائلي واستبداد الرجال وتهميش النساء من خلال مجموعة من الشخصيات النسائية. أهم ما يميز هذه الرواية هو بنيتها المشظاة، فهي تروى على ألسنة عدة رواة ويتنقل الضمير فيها من المتكلم إلى الغائب والفصول متنوعة تتناول كل منها إحدى الشخصيات وتروي الحكاية من زاويتها، وتتداخل الأزمنة والأمكنة فيها، ولا يوجد مركز سردي محدد بل مجموعة من البنى السردية المختلفة المتقاطعة، وهؤلاء النسوة ذوات أعمار مختلفة ومشكلات متنوعة قد تتقاطع حيواتهن أحيانا أو تتوازى أو تتنافر، كل هذا شكل بنية سردية مشظاة تحتاج لقارئ نبيه (أي فطن) للقدرة على إعادة ترتيبها وتنظيمها وفهمها. وهذه البنية السردية تعد من أهم مظاهر سرد ما بعد الحداثة، فهو سرد مشتت لا يتطور بشكل منطقي بل يكون فيه الراوئي حرا في بنائه فهو يبدأ من أي زمن شاء أو من أي مكان ثم ينتقل من زمن لآخر ومن مكان لآخر، والراوي ليس واحدا بل عدة رواة والضمائر متنوعة.

ولعل هذا التشظي في حبكة رواية سيدات القمر هو صوت التمرد لدى المرأة العربية، فمن خلال سرد حكاية هذه المجموعة من النساء العمانيات استطاعت المؤلفة إيصال صوت تمرد المرأة العربية على التقاليد والأعراف وهي تعيد طرح الأسئلة الممنوعة حول أهمية بعض الثوابت المقدسة كالزواج والأمومة والرغبة في الخروج على تقاليد المجتمع الذكوري الذي يهيمن فيه الرجال، فالشخصيات النسائية في الرواية إما ترفض الزواج حتى لا تكون تحت إمرة الزوج وهي شخصية العمانية البدوية (ميا) أو تطالب بالطلاق وتقوم بخلع نفسها مثل شخصية (لندن)، أو تمرد العبدة ظريفة على سيدها. لقد استطاعت المؤلفة رصد مرحلة مهمة من تاريخ عُمان وهي مرحلة الانتقال من الاستعمار إلى الاستقلال ودخول المجتمع العماني عصر الحداثة وتأثير كل هذه الظروف على المجتمع العماني والإنسان العماني لاسيما على المرأة العمانية كل هذا من خلال بنية سردية مفككة حيث إن هذه الرواية خير مثال على التشظي في الرواية العربية الجديدة.

ثالثا: الزمن

يعد الزمن من أهم عناصر السرد الروائي، والفنون عموما، إذ إن وظيفة الفنون على اختلافها في الأصل هي تجميد اللحظة التاريخية وضمها بين دفتي كتاب، والروايات العظيمة تجسد لحظات تاريخية مهمة في تاريخ البشرية، كالحروب والانتصارات والتحولات والثورات الكبرى، والزمن في الرواية هو الإطار الخلفي الذي تسير فيه الأحداث، ومن خلال حيوات الشخصيات الجزئية يتشكل نهر التاريخ الذي يجري في أعماق الرواية.

وقد عرف بعض النقاد الزمن في الرواية بأنه "زمن تخييلي من صنع الخيال الفني، يستخدم الكاتب لبلورته وتشكيل بنيته، آليات فنية تخدم السرد، وتحقق شروطه الخطابية، والجمالية" (القصراوي، 2004). وليس معنى ذلك أن على الروائي أن يكون يؤرخ للأحداث فهذه وظيفة المؤرخ، ولكنه يستخدم الزمن ويعيد تشكيله وبناءه كإطار لأحداث روايته، فقد يتقاطع أحيانا مع الزمن الواقعي أو قد يتشابك أو لا يفعل كل ذلك بما يناسب رؤية المؤلف ويخدم الشكل النهائي للرواية.

وفي الرواية التقليدية كان الزمن محكم البناء ويتطور للأمام بصورة منطقية والأحداث مترابطة تتحرك من نقطة زمنية محددة باتجاه المستقبل، إلى أن ظهرت تقنية الاسترجاع الزمني، التي تفنن الروائيون في توظيفها في رواياتهم وهي تمثل كسرا في سيرورة الزمن وعودة للوراء أحيانا، وذلك من خلال خواطر وذكريات وخيالات الشخصيات الروائية، ومن خلال هذه التقنية السردية يستطيع المؤلف سد الثغرات السردية في الحكاية أحيانا أو إعطاء معلومات عن ماضي الشخصيات الروائية أو العودة لبعض الأحداث التي تخدم الحاضر الزمني. وعلى عادة الأدباء في الرغبة بالتغيير الدائم وكسر القواعد والخروج على المألوف السردي، فقد ظهرت لدينا روايات مختلفة من حيث بنية الزمن فيها، ولا سيما في رواية ما بعد الحداثة التي أصبحت مجموعة من الفلاشات السريعة من أزمنة وأمكنة مختلفة تجتمع بجانب بعضها البعض لتكون رواية تتداخل وتتشابك وتتقاطع فيها الأزمنة، وهي السمة العامة للرواية الجديدة. وقام الروائيون الجدد بتحطيم التسلسل الزمني التقليدي من خلال استهدافهم "لكل ما كان قائما على التسلسل الزمني المنطقي فمزقوا سلاسله، وشوشوا على نظامه، فاتخذوا من الفوضى جمالا فنيا، ومن الخروج عن المألوف جدة (أي جديدة) في الشكل الروائي وبنائه" (مرتاض، 1998). ويمكن القول إن الزمن في الرواية الجديدة ليس له شكل محدد، وأن فلسفة الحداثة قد فرضت نفسها على الرواية "وهي الحداثة التي يتفكك فيها السرد وتتقطع لحظاته ويتداعى الزمن ويتشتت في حركة مستمرة" (نعيسة، 2015).

وهذا الشكل الزمني في الرواية الجديدة يعكس طبيعة الإنسان في زمن ما بعد الحداثة فهو مشتت الذهن غارق في عالمه الخاص منفصل عن واقعه يصارع ويتحدى عمليات التجريد والتشييء التي جعلت منه شيئا لا قيمة له إلا ما يضيفه من قيمة مادية، والإنسان العربي ليس ببعيد عن هذا الواقع المرير وهو الأكثر تعرضا للهزائم والانتكاسات في هذا العالم، لذلك انعكست هذه الحالة على الرواية العربية الجديدة وجاءت الرواية مشتتة مشظاة البنية الزمنية. أما المتلقي العربي فقد صدم بهذه البنية الخارجة عن المألوف حتى أن بعضهم انصرف عن الرواية الجديدة ظنا منه أنها مجرد تشتت لغوي وسردي لا أكثر وأن هذا التشظي ما هو إلا ألاعيب روائية فارغة، ولكن شيئا فشيئا أخذت الذائقة العربية تستوعب هذا الشكل الجديد وتتفاعل معه، وهو الشكل الذي يمارس فيه القارئ دورا مهما في إعادة بناء الرواية وترتيب الزمن فيها بل أصبح القراء يستمتعون بهذا الشكل الروائي الذي يحتاج ذكاء من قبل المتلقي وأصبح دوره لا يقل عن دور المؤلف في بناء الرواية.

ومن الروايات العربية التي خاضت غمار التجريب وظهرت فيها العديد من مظاهر التجريب وأهمها تشظي الزمن الروائي رواية طيور الحذر للفلسطيني إبراهيم نصر الله (نصر الله، 2000) حيث تدور أحداث الرواية في زمن غير محدد تماما فالروائي لم يذكر العام أو التاريخ الذي جرت فيه أحداث الرواية ولكن يمكن تلمس أثر هذا التاريخ من خلال أحداث الرواية بشكل غير مباشر، فهي تدور في سنوات اللجوء الفلسطيني أعقاب النكبة إذ إن أحداثها تدور في المخيم، والرواية عبارة عن تسلسل زمني متقطع غير مستمر يحفل بالرجوع والانقطاعات الزمنية ويمكن معرفة الزمن من خلال بعض الإشارات خلال الرواية من مثل هذه الفقرة التي يقول فيها:

"ارتفعت الأسوار حول الغرف...

أوشك أن يصبح للمخيم أزقّة، أزقّة واسعة لمرور الشقاوات، وحياكة المكائد، أزقة للمعاصي الصغيرة التي تبدأ بتدخين سجائر الملوخية، وتنتهي بدفع بهيمة ضالة نحو ضلالة سرية في عتمة المساء" (نصر الله، 2000). وفي هذه الفقرة تظهر لنا كيف تحول المخيم الذي يجب أن يكون مكانا مؤقتا للاجئين تحول شيئا فشيئا لبيوت دائمة، فقد تحولت الخيام إلى غرف مبنية وبُنيت حولها الأسوار بل وأصبح هناك أزقة بينها، وهذا يشير إلى الفترة الزمنية التي أعقبت اللجوء بمدة، فاللاجؤون الفلسطينيون الذين تم إخراجهم قسرا من بيوتهم وترحيلهم إلى مخيمات في خارج فلسطين وأحيانا داخلها ولكن بعيدا عن مدنهم الأصلية، ظنوا بداية أنها فترة مؤقتة وأن الجيوش العربية ستهب لنجدتهم وإخراج اليهود من أرضهم وبالتالي فإنهم سيعودون إلى قراهم وبيوتهم، ولكن ما حدث على أرض الواقع هو العكس تماما إذ إن الجيوش العربية هزمت ولم تستطيع استعادة فلسطين المحتلة، أما اللاجؤون فكان عليهم العيش في مخيمات اللجوء إلى الأبد، وأما المخيمات فقد أصبحت مدنا عشوائية يعيش فيها الفلسطينيون دون أمل بالرجوع القريب! هذه الهزائم المتعددة التي تعرض لها الإنسان العربي، أثرت في عقله وتفكيره وجعلته يعيد التفكير في قيمته وقيمة عروبته التي طالما افتخر بها، كل هذا أثر على بنية الرواية العربية فجاءت الرواية الجديدة لا سيما بعد هزيمة حزيران عبارة عن شتات لغوي وسردي، تتشظى فيها الأزمنة والأمكنة والشخصيات، مبعثرة الحبكة لا مركزية فيها وإنما شظايات وفتات سردية على القارئ إعادة لملمتها وترتيبها فهو مشترك بالضرورة في كتابة هذه الرواية.

8.المناقشة

تظهر نتائج هذه الدراسة أن الرواية العربية خاضت غمار التجريب الروائي، وأنه قد ظهرت لدينا أنماط وأشكال متعددة للتجريب، ومن أهم هذه الأشكال الشكل الروائي المشظى أو المفكك، وهو نمط روائي يعتمد بنية روائية مشتتة غير متماسكة، تظهر على شكل فصول متقطعة قصيرة قد تبدو للوهلة الأولى قصصا مختلفة ولكن هناك خيط سري يجمعها ويجعل منها رواية واحدة ولكن بشكل مجزأ. وهذا الشكل الروائي ظهر في الرواية العربية بناء على عدة عوامل منها الظروف الصعبة التي مر بها الإنسان العربي لا سيما بعد هزيمة حزيران التي تركت شرخا هائلا في العقلية العربية، أثرت على رؤيته للأمور وعلى اليقينة التي كانت تسيطر عليه قبل ذلك. وطبيعة المجتمعات في عالم اليوم وهيمنة الرأسمالية أصبح الإنسان لا قيمة له، وأصبح التركيز على الماديات بعيدا عن القيم والمبادئ المعنوية، من هنا أصبح الإنسان في حالة شك وإحساس باللاجدوى أثر على الأدب وبالأخص على الرواية. كما أن اطلاع الروائيين العرب على الأفكار والفلسفات الغربية وعلى النتاج الأدبي ما بعد الحداثي ترك أثرا بالغا على الفكر العربي والذهاب في مغامرات التجريب الروائي ومنها على الأخص التشظي.

وتظهر نتائج هذه الدراسة أن أهم تغير طرأ على الرواية العربية هو التغير على صعيد البنية الروائية وكسر الشكل الروائي التقليدي وهذا التغير كان ردة فعل قوية على التسجيلية المباشرة للرواية التقليدية وشمل هذا التغيير في بنية الرواية بنية الشخصية والزمن والحبكة وسائر العناصر السردية. وتوصلت الدراسة إلى أن الرواية العربية الجديدة قد نجحت إلى حد بعيد في مغامرة التجريب الروائي، وأن هذا الشكل الروائي الجديد لم يكن مجرد تقليد فارغ للرواية الغربية، بل كان متناسبا مع التغيرات العميقة التي شهدت المنطقة وأنه استطاع خدمة الخطاب الروائي وتكثيفه بما يتناسب مع رؤى الروائيين العرب.

وتوصي الدراسة بضرورة الاهتمام بهذا الدراسات من قبل أقسام اللغة العربية في الجامعات الأفغانية إذ إن الرواية العربية جنس أدبي مهم لا يقل أهمية عن الشعر العربي المعاصر، فالرواية العربية هي المفتاح لفهم المجتمع العربي والفكر العربي والعقلية العربية، لذا نتمنى على الأكاديميين الأفغان تكثيف دراسة الرواية العربية والاهتمام بها بشكل أكبر.

9.النتائج

- خاض المحتمع العربي في القرن الأخير مجموعة كبيرة من التطورات التي نقلته إلى عالم الحداثة، نتيجة لذلك إضافة لاطلاع الروائيين والمثقفين العرب على النتاج العالمي من العلوم الإنسانية المختلفة وعلى النتاج الأدبي العالمي انتقلت الرواية العربية من مرحلة التقليدية إلى الحداثة وظهرت أشكال جديدة للرواية العربية
- كان أهم تغيير في الرواية العربية ليس على صعيد الخطاب وحسب بل على صعيد البنية الروائية وما فيها من عناصر سردية كالحبكة والشخصية والزمن والمكان واللغة.
- إن رواية التشظي هي ردة فعل قوية على الرواية التقليدية التي سادت في الخمسينيات من القرن الماضي والتي كانت تزعم أنها تملك الحقيقة كاملة وأن كل شيء فيها يقيني مؤكد، أما رواية التشظي فهي تقولها بصراحة إنه لا يوجد يقينيات ولا أمور مؤكدة في عالم اليوم.
- إن تشظي الشخصية في الرواية العربية هو تحول يأتي في سياق التحولات الهائلة التي يتعرض لها الإنسان في المجتمعات الحديثة فهو مجرد رقم أو حرف بلا قيمة وهو ما عكسته هذه الروايات.
- في الرواية الجديدة لم تعد الحبكة واضحة المعالم، بل هناك حبكة مشتتة متفرقة وذلك من خلال تراجع أهمية الحكاية وتقطيع السرد وتوقف النمو والتكثيف الداخلي.

- إن بنية الزمن المتسلسلة المنطقية المتعارف عليها في الرواية التقليدية أصبحت من الماضي وأصبحت الرواية الحديثة تعتمد على بنية زمنية مشتتة قائمة على الذكريات والخواطر والأحلام.
-

المصادر والمراجع

[1] . شكري الماضي، أنماط الرواية الرواية العربية الحديثة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2008.
[2]. إدوار الخراط، الحساسية الجديدة، دار الآداب، بيروت، 1993.
[3]. نجاة صادق الجشعمي، التشظي وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، مركز الوطن العربي، القاهرة، 2017.
[4]. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002.
[5]. فرانز كافكا، المسخ (رواية) ترجمة: يوسف الطريفي، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2017.
[6]. فرانز كافكا، المحاكمة (رواية) ترجمة: محمد أبو رحمة، دار الأقلام العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.
[7]. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
[8]. أحمد المديني، المخدوعون (رواية) ، منتدى المعارف، بيروت، 2012.
[9]. جوخة الحارثي، سيدات القمر (رواية)، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2010.
[10]. مها القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.
[11]. جهاد عطا نعيسة، في مشكلات السرد الروائي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2015.
[12]. إبراهيم نصر الله، طيور الحذر (رواية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، بيروت،